مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 03 ديسمبر ،2021 ص - ص:243-262

النشاط الاقتصادي لمدينة بخارى لغاية(295هـ/ 907م).

The economic activity of the city of Bukhara until (295AH/907AD)

د. رشا عبد الكريم فالح النور (*)
قسم التاريخ جامعة البصرة– –مركز دراسات البصرة والخليج العربي(العراق) ،
Rashareem200060@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 08 /2021/06 تاريخ القبول: 13 /2021/12 تاريخ النشر: 05 /2022/02

الملخص: تعتبر مدينة بخارى من المناطق المهمة في المنطقة بصورة عامة ولإقليم الصغد بصورة خاصة نظراً للميزات المهمة التي تمتعت بها المدنية سواء في بالنسبة للموقع الجغرافي او بخصوص النشاط الزراعي او الثروة الحيوانية والثروة المعدنية ايضا , فلقد ازدهرت المدنية من كل النواحي ,فكانت اراضيها الخصبة الواسعة الغنية بالمنتوجات الزراعية المختلفة , وثروتها الحيوانية من مواشي وحيوانات متعددة التي تدخل اكثرها في المنتوجات الصناعية ,كل هذه الميزات جعلها محطة انظار الكثير من البلدان لاستثمار خيراتها.

الكلمات الدالة: مدينة بخارى ؛ سوق؛ صناعة ؛ ماوراء النهر؛ الصغد؛ الدولة السامانية؛ اسوار.

Abstrac: The city of Bukhara is considered one of the important areas in the region in general and for the region of Sughd in particular due to the important features that the city has enjoyed, whether in terms of geographical location or regarding agricultural activity or livestock and mineral wealth as well. The various agricultural products, and its animal wealth of multiple livestock and animals, which are mostly used in industrial products, all these advantages make them a focus of attention for many countries to invest their wealth.

Keywords: Bukhara city; market; industry; Trans-river; Sughd; Samanid.

* المؤلف المرسل.

1.مقدمة

تعتبر مدينة بخارى من اهم مدن بلاد الصغد التي اشتهرت بخصوبة اراضيها ووفرة المحاصيل الزراعية فيها والثروة الحيوانية نظراً لكثرة الانهار , حتى وصفت انها قلما تمر بفترة من القحط والجفاف بسبب تلك الانهار التي تخللتها مما ساعد على ازدهار النشاط الزراعي والثروة الحيوانية وظهور صناعات متنوعة وازدهار الاسواق واكتظاظها بالناس والتجار فكانت البضائع المتنوعة فيها من الاقمشة والملابس الفاخرة بالإضافة لأفخر انواع السجاد والمنسوجات المتنوعة , حتى اطلق على بعض مناطقها باسم مدينة التجار لكثرة التجار فيها وترويج منتجاتهم, بالإضافة الى الثروة المعدنية الي تشتهر بها بعض مناطق بخارى, فقد اشتهرت بأنواع عديدة من المعادن التي تدخل في العديد من الصناعات , وبالتالي انعكست هذه الخيرات على مستوى دخل الفرد في مدينة بخارى , بالإضافة الى مرور العديد من السفن في مياهها فكانت محطة لنقل البضائع وتسويقها لكافة انحاء العالم .

ولقد جاء البحث بمقدمة وتناول نبذة تاريخية ثم الاطار الجغرافي لمدينة بخارى وتسميتها وموقعها والنشاط الاقتصادي لمدينة بخارى واهم مواردها بعد ذلك الخاتمة.

جاء في مقدمة الكتب الجغرافية التي اعتمدت في البحث كتاب مسالك الممالك للاصطخري (ت 346هـ - 952م) فقد اورد معلومات غزيرة ومفصلة عن مدينة بخارى جوانب جغرافية ونشاط اقتصادي وتطرق إلى الانهار ومنابعها وفروعها. وكانت مادته الاقتصادية غنية عن الموارد الطبيعية

كما كانت المعلومات التي أوردها ابن حوقل (ت 367هـ-977م) في كتابة صورة الارض غزيرة ووافية عن مدينة بخارى والتي وصفها وصفاً مفصلاً وذلك لعمله في دواوين الدولة واستقائه معلوماته من وثائق وسجلات الدولة . والذي يميز ابن حوقل انه قد اتبع اسلوب

معاصريه ونسخ معلوماته منهم وقد كانت معلوماته وافية ومفصلة ايضاً عن المدن والكور والانهار والطرق التجارية .

واورد المقدسي (ت 375هـ-985م) في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم معلومات غنية وغزيرة عن مدينة بخارى. وجاءت المعلومات عن الموارد الاقتصادية والزراعية والحيوانية والمعدنية ومعلومات وافية عن الطرق التجارية. .

وجاء معجم البلدان لياقوت الحموي (626هـ/ 1228م) في مقدمة المصنفات المهمة التي تضمنت معلومات غزيرة ووافية عن الجوانب الجغرافية التاريخية محدداً ابرز اقتصاد مدينة بخارى.

اما اهم الكتب التاريخية فاذكر اهمها كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت 279هـ/ 892م) اهمية في معرفة فتح المدينة في حركة الفتوح العربية الإسلامية في تلك المناطق .

اما المراجع الحديثة فقد كان لها اثر في اغناء مادة البحث بالمعلومات وكان في مقدمتها كتاب بلدان الخلافة الشرقية لسترنج لكي في مقدمة الكتب التي اعتمدت في البحث وقد تضمن وصفاً لمدينة بخارى ووصف اهم مدنه وقراه والطرق الداخلية والخارجية والانهار والبحيرات وما تتميز به المدينة من منتجات زراعية وحيوانية وصناعية.

2.نبذة تاريخية

نظراً لموقع بخارى الملائم للعيش جعل منها منطقة جذب سكاني منذ القديم ، وعرفت استقرار المسلمين خلال الفترات الأولى لتواجدهم في المنطقة .

ورغم كثرة الحملات العسكرية عليها الا انها اصبحت فعلياً ضمن حضيرة الدولة العربية الإسلامية[1].

فمنذ عام 90هـ/ 709م بعد ان كرر القائد قتيبة بن مسلم الباهلي [2] محاولته وتمكن من فتحها بعد معارك عنيفة مع الاتراك الذين لم يستطيعوا ايقاف المد العربي الإسلامي، ومنذ ذلك الوقت فان بخارى كانت من المناطق الادارية المهمة في الدولة العربية الإسلامية وهي من الناحية الادارية تعد قصبة اقليم خراسان ومركزه الاداري والسياسي ولاسيما في عهد الامارة

السامانية إذ اتخذها الامير إسماعيل بن أحمد الساماني (ت 295هـ/ 907م) مركزاً لأمارته [3].

ولقد زاد الاهتمام ببخارى وبخاصة بالنشاط الزراعي خلال ولاية السامانيين على خُراسان وبلاد ما وراء النهر (204-389هـ/819-998)، فقد كانت قصورهم في بخارى محاطة بالبساتين والحدائق، بل وجُعل فيها متخصصون يشرفون على تخطيطها، وتزيين الحدائق، التي انتشرت فيها أنواع الورود والرياحين[4] لاسيما قصرهم المسمى (جوى موليان)في بخارى, فقد وصف النرشخي مقر السلطة السامانيّة هذا في بخارى بأنَّه كان شبيهُها بالجنَّةِ لأنَّ كلُّ أماكنَه قصوراً، وحدائقاً، وخمائلاً، ومياه جاريةً على الدوام وكانت تتخللها انهار تجري في الف اتجاه نحو المروج والرياض وقد خطط هذه القصور نوادر الاساتذة والمعماريين كما ان الدور الاخرى خارج هذه القصور كلها منسقة فيها حدائق كبيرة غناء واشجار نادرة وكثيفة بحيث ان اشعة الشمس قلما تصل الى مجالس الاحواض في هذه الحدائق التي ازدهرت بالوان الفاكهة كأنها الجنة وهي غاية في الحسن واللطف[5].

وهذا بدوره سوف يساعد على الاهتمام بالنشاط الزراعي والاراضي في مدينة بخارى والاهتمام بالحدائق والقيام بزراعتها بمختلف لأنواع المحاصيل والمزروعات .

3. التسمية المدينة والاطار الجغرافي لها:

1.3 .لغويا :

اطلق على مدينة بخارى عدة تسميات وهذا ما اشار اليه النرشخي [6] على الرغم من ان المؤرخين اطلقوا عليها عدة تسميات الا ان الاسم الشائع لها هو بخارى .

بخارى : بالضم : من اعظم مدن ماوراء النهر واجلها ,كانت قاعدة ملك السامانيين , وهي مدينة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه تحمل فواكهها الى مرو ,كثيرة الخضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط اخضر تلوح القصور فيما بينها كالنواوير فيها , واراضي ضياعهم منعوتة بالاستواء كالمرآة , بناؤها خشب مشبك ويحيط بها البناء والقصور والبساتين والمحال والسكك المفترسة والقرى المتصلة بسور , فلا يوجد بها قفارا ولا

خرابا ,فليس بخراسان ولا ماوراء النهر مدينة اشد اشتباكا من بخارى ولا اكثر اهلا على قدرها ,ولهم في الربض نهر الصغد يشق الربض , وهو اخر نهر الصغد ,فيفضي الى طواحين وضياع ومزارع ,ومن مدنها الطواويس [7].

كما ان بخار في لغة الاويغور تعني موضع الاوثان في المعبد البيرهمي (البوذي) وكان اسم المدينة قبل ذلك (بمحكث) وتقع بخارى الان في جمهورية اوزبكستان[8].

واسمها القديم ينمجكت أو بومسكت [9]، واسم بخارى مشتق من كلمة بخار المغولية التي تعني العلم الواسع وسميت بهذا الاسم لوجود كثير من العلماء فيها ولها اسماء اخرى منها: ارض النحاس ومدينة التجار وبخارى الشريفة وبخارى العظيمة. وهي تعد من أعظم مدن ما وراء النهر وهي أول كورة من ناحية جيحون يعبر اليها من آمل من ناحية الشط، وعدد ابوابها ثمانية ولها سور سعته نحو فرسخ وهي في سهل وعلى مسافة قصيرة من جنوب عمود نهر السغد وحولها كثير من المدن والقصور والبساتين يجمعها حائط [10] سعته اثنا عشر فرسخاً في مثلها ويشق هذا السور العظيم نهر السغد وانهار كثيرة اخذة منه وهذا السور يجمع المدينة الاصلية وضواحيها وهي خمسة مدن زاهرة (خجادة، مغكان، بو مجكث ، الطواويس، زندنة) وفيه القلعة (القهندز بالفارسية) ومقر ولاة خراسان من آل سامان ولها ربض ومسجد جامع والحبس يقع في قلعة المدينة واسواقها في ربضها [11].

ولبخارى خارج السور إلى الشمال الغربي قهندز متصل بها وهي في مقدار مدينة صغيرة وفيها مساكن الولاة والحبس والخزانة وفي خارج المدينة وحولها أرباض واسعة تمتد حتى عمود النهر وتحف بضفته الجنوبية وهي درب النوبهار ودرب سمرقند ودرب الراميثنة وغيرها من الدروب وابوابها باب المدينة وباب نور أو نوز وباب حضرة وباب الحديد وباب القهندز وباب مهر وباب بني اسد واخرها باب بني سعد [12].

فهي مدينة طيبة حسنة الموقع والبناء فلقد ذكرها الاصطخري عندما قال (وليس بخراسان وماوراء النهر مدينة اشد اشتباكا من بخارى ولا اكثر اهلا) [13] .

اما بنائها فكان اغلبيته من الخشب [14],مما يدل على ان المدينة مليئة بالغابات مما جعل الناس يستخدمون اخشاب تلك الغابات في البناء ,فكانت عرضة للكثير من الحرائق وهذا ما اشار اليه المقدسي (وبخارا جليلة لولا الماء وكثرة الحريق) [15]

2.3 الموقع :

تقع بخارى في اقليم الصغد ,ويرجع الفضل في خصوبة هذا الاقليم الى نهر الصغد المشهور (زرفشان) وما يتفرع عنه من انهر كثيرة وبفضل هذه الخصوبة أمتاز الاقليم بوفرة المحاصيل وكثرة الثمار حتى انه لم يعد في حاجة الى غيره من الاقاليم . وبهذا السبب قلما تعرض لمجاعة أو قحط فعنده دائما ما يكتفى ويفيض[16] , وتحيط الخضرة المتصلة مدينة بخارى فلا يقع البصر اينما امتد الا على زرع وخضرة .

والمدينة مشهورة بالأنهار والمياه , فنهر الصغد يشقها بفروعه حتى((يتخلل الاسواق ويتشعب في الشوارع))[17]. ويتفرع منه عدد من الانهار.

وعندما تتدفق مياه نهر الصغد في فصل الصيف يفيض على الجانبين مكونا مستنقعات واسعة في اطراف المدينة .

ومع وفرة مياهها واحاطتها بالانهار فأن القذارة كانت غالبة على ازقة المدينة الضيقة , وقد ادت وفرة المياه الى رطوبة الجو ووخامته , ولهذا كره الاقامة فيها كثير من الوافدين عليها وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

أقمنا في بخارى كارهين ونخرج إن خرجنا طائعينا

فأخرجنا إله الناس منها فان عدنا فانا ظالمونا[18]

4. النشاط الاقتصادي لمدينة بخارى ومنتجاته :

1.4 الزراعة :

يمثل النشاط الاقتصادي عصب الحياة وأساس قيام المدن واستمرارها ، فظهر واضحاً في مدينة بخارى التي اتصفت بانها واسعة المزارع ، وفيرة الانتاج وغزيرة المياه ، كثيرة القرى فقد كانت رساتيقها (كثيرة ونواحي فاخرة نفيسه واعمال جليلة وضياع فاخرة ليس مثلها لاهل

بلد ولا بسبب) [19] ، وقد بلغ عدد قرى مدينة بخارى ستة عشر الف قرية كلها لها انهار متفرعة من نهر الصغد تقوم عليه عمارة قرى بخارى[20].

ووصفت انهارها وقنواتها بانها(كلها ذات رساتيق كثيرة وماء غزير[21] وهي ليس فيها (ارض بائرة ولا ضيعة عطلة) [22] وفيها الكثير من القنوات مثل قناة فنشيديزة وجوبيار وكشنه وكل منها تسقي نحو الف بستان ومساحة كبيرة من الأراضي الزراعية وكذلك تقوم قنوات رباح وزغار بارواء ألوف البساتين ومساحات من الأراضي الزراعية [23].

أما رساتيق المدينة فقد عرفت بقنواتها الخاصة التي تسقيها وهي داخل الحائط وخارجه تتشعب من نهر الصغد [24].

فبلغت غاية الاهتمام بالزراعة في تلك البلاد خلال ولاية السامانيين على خُراسان وبلاد ما وراء النهر (204-389هـ/819-998)، إذ كانت قصورهم في بخارى محاطة بالبساتين والحدائق، بل وجُعل فيها متخصصون يشرفون على تخطيطها، وتزيين الحدائق، التي انتشرت فيها أنواع الورود والرياحين[25] لاسيما قصرهم المسمى (جوى موليان)في بخارى.

اشار النرشخي ان مقر السلطة السامانيّة في بخارى بأنَّه كان شبيهًا بالجنَّةِ لأنَّ كلُّ أماكنَه قصوراً، وحدائقاً، وخمائلاً، ومياه جاريةً على الدوام وكانت تتخللها انهار تجري في الف اتجاه نحو المروج والرياض وقد خطط هذه القصور نوادر الاساتذة والمعماريين كما ان الدور الاخرى خارج هذه القصور كلها منسقة فيها حدائق كبيرة غناء واشجار نادرة وكثيفة بحيث ان اشعة الشمس قلما تصل الى مجالس الاحواض في هذه الحدائق التي ازدهرت بالوان الفاكهة كأنها الجنة وهي غاية في الحسن واللطف[26].

وهذا بطبيعة الحال سوف يسهم في انتشار المزروعات والاهتمام بتنظيم الحدائق وزراعتها بمختلف الاشجار , واعطاء المدن التي يحكمونها صورة جميلة عن جمال حدائقها التي كان ينظمها هؤلاء الولاة وبالتالي اضفاء المودة والراحة في نفوس ابناء المجتمع.

اما ما تنتجه أراضي مدينة بخارى من منتجات متنوعة وذات جودة عالية , وكان فيها طواحين وضياع ومزارع ويسقط ما تبقى من مائها في مجمع ماء محاذي لبيكند وتعتمد زراعتها على الانهار [27].

نلاحظ ان الاهتمام الواسع من قبل السلطة الحاكمة في بخارى قد اسهم بشكل فعال في دعم النشاط الزراعي , لكن لا يخفى ان المناخ المعتدل ووفرة المياه كان له اثر في هذا الازدهار

2.4 الصناعة :

ان من أشهر مراكز صناعة المنسوجات القطنية والصوفية كانت في مدينة **بخارى** حيث اشتهرت بصناعة **الكرابيس** المعروفة **بالزندنجية** نسبة الى قرية **زندنة** وقد عرف بجودته العالية ، ويرتديه الملوك والعظماء ويقبلون على شرائه كما يقبلون على شراء الحرير[28]، ونظراً لارتفاع قيمته وغلو ثمنه ، فقد قام الأمير "**إسماعيل بن أحمد السامانى**" بإعطاء قواده ثوباً من تلك الكرابيس هدية [29].

كما ان اسكجكت : مركز مهم لتصدير ثياب الكرباس ووصف سكانها بانهم كانوا تجار كبار [30]. فقد اشتهرت بصناعة الاقمشة الجيدة , قال السمعاني عنها انها قرية على اربعة فراسخ من بخارى على طريق سمرقند ويقال للمنسوب اليها سكجكتي , وكان سوق هذه القرية تقام كل خميس .

وايضا اشتهرت **بخارى** بصناعة المفروشات الخاصة بالخانات سواء من القطن او الصوف ، بالإضافة إلى الوسائد والقلانس والأقبية والسرادقات وثياب أشمونى* ، والثياب الخاصة بالخلفاء [31]، والجواليق*.

وعرفت بلدتي **الطواويس ووذار** بصناعة الملابس **القطنية** ذات الجودة العالية والتي كانت تصدر إلى **بغداد** [32].

كما عرفت مدينتي الطواويس وزندين بكثرة اقطانها وكلاهما من مدن بخارى التي تحمل منسوجاتها القطنية إلى كل مناطق اسيا الغربية ويزرع ايضاً في خوارزم والشاش الذي حمل قطنه إلى الترك والقواذيان [33].

فأصبحت بخارى من مراكز الزراعة وانتاج القطن فاشتهرت مدينة بخارى بالمنسوجات القطنية وخصوصا بنسيج قطني خاص هو الكرباس [34] ويسمى ايضا الزندنيجي[35] نسبة إلى مدينة زندنة التي عرفت بانتاجها لكميات كبيرة من القطن وصناعته وتعد صناعته إلى بلدان اخرى مجاورة مثل طواويس وردانة [36] .

حتى اصبح يعرف باسم الثياب البخارية التي وصفت بانها كرباس ثقيل الوزن مبرم الغزل واضحت له سوق خاصة به سميت بسوق الكرابس أي سوق القطانيين [37].

فاتخذ منه جميع العظماء والملوك ثيابا غالية الثمن يشترونه بثمن الديباج، علما انه لم يقتصر على لـونه الابيض انما تلون بالوان اخرى كالاحمر والاخضر الواسعة الشهرة [38].

أما الانسجة الصوفية ، فقد اتسعت شهرتها في بخارى التي امتازت بصناعة الانسجة الصوفية والثياب التي وصفت بانها غاية الحسن وكذلك برزت سمرقند التي عرفت بعض قراها بانتاج الاصواف وخاصة قرية (خرغون) التي كانت نسائها تعمل في غزل الصوف [39].

كما كان للحرير مصانع كبيرة في بخارى يعمل فيها كثير من الحرفيين, وانتشرت صناعة الديباج في مدينة كش وسمرقند وبخارى [40] .

مثال ذلك ما ذكره النرشخي عن وجود مصانع النسيج، التي تسمى دار الصناعة، او بيت الطراز في بخارى، ولها صناع مهرة لهذا العمل[41].

ومن بخارى البسط والمصليات واحزمة الخيل والثياب ودهن الرأس وثياب الفرش الفندقية [42] وينسج به البسط والسرادقات واليزديات (وهو نوع من القماش الفاخر , والوسائد والسجاجيد الصلاة والبرود الفندقية التي كانت ترسل الى الخلفية وهذا ما اشار اليه النرشخي (وفي كل سنة ياتي عامل من قبل الخليفة وياخذ من هذه الثياب مايعادل خراج بخارى) [43].

نلاحظ ان مدينة بخارى اشتهرت شهرة واسعة بصناعة السجاد والاقمشة القطنية والصوفية , فكان الاهالي والتجار يأتون اليها من كل مكان ليشتروا تلك الانواع الفاخرة , كما نلاحظ ان تلك الاقمشة ايضا قد انتشرت بين مختلف الطبقات ,حتى اشتهرت مدينة بخارى بكثرة التجار فيها من التيل والكتان التي كانت تصدر الى جميع المناطق الأخرى والبلدان.

3.4 الثروة الحيوانية:

تعتبر لثروة الحيوانية التي تُعد جزءاً مهماً يسهم في ازدهار النشاط الاقتصادي لبخارى؛ لما فيها من استخدامات بشريّة متنوعة، فضلاً عن إسهام بعض مواردها في الصناعات المختلفة، التي ازدهرت في تلك البلاد.

وقد تعددت مصادر الثروة الحيوانيّة , التي تعد سمة لتلك البلاد، ومنها العسل والبندق ومن بخارى اللحوم التي لا نظير لها [44] ومنها السمك المملح والطازج وفراء الخراف والحملان [45]

اذ اختصت كل مدينة، أو قرية، بنوع معين من الثروات، أو الإنتاج الحيواني، غير أنَّ السمة الغالبة على اهالي تلك البلاد وهي اهتمامهم بتربية الدواب، اذ فيها من الإنتاج ما فيه كفاية لهم، مع كثرة ارتباطهم لها[46].

أما بالنسبة للصناعات الجلدية والقائمة على الثروة الحيوانية فقد عدت جلود الحيوانات مادة صناعية هامة تدخل فى العديد من الصناعات، حيث وجدت مصانع لدباغة الجلود، وتحضيرها للصناعات وتوجد أهم مراكز الصناعات الجلدية فى **بخارى**، حيث اشتهرت بصناعة الفرو من جلود الأغنام والحملان وكذلك **بلخ** التى عرفت بدباغة الجلود وصناعتها [47].

ان ازدهار الثروة الحيوانية يؤدي في طبيعة الحال الى تنمية الصنائع والمهن والحرف نتيجة تشجيع الانتاج ونقله من مكان الى اخر لذلك نجد ان بخارى قد اصبحت مركزا صناعياً في بلاد ماوراء النهر وانشات فيها دارا للطراز التي تنتج مختلف انواع البسط والملابس التي تنقل الى دار الخلافة في بغداد , فضلا عن حركة التجار الذين يحملون الثياب الجيدة الصناعة منها الى بلدانهم [48].

مما سبق أن صناعة المنسوجات اعتمدت اعتماداً كبيراً على الثروة الزراعية وكذلك الحيوانية ، فكان الاهتمام بهما سبباً في انتشار صناعة المنسوجات ، وقد وجد أيضاً تخصص بعض المدن فى صناعة أنواع معينة من الثياب انتشرت فى أرجاء العالم فى ذلك الوقت مما أعطى للمدينة صيتاً شائعا.

وهذا الامر(ازدهار الثروة الزراعية والحيوانية) ادى الى حركة اجتماعية مهنية شارك فيها عدد من الاهالي كايدي عاملة فضلا عن حرفيين اساتذة متخصصين ببعض الصناعات وبـالتالي ازدهار الاسواق ونشاطها التي كانت مركزا حيويا واساسيا للحياة العامة ومركزا للحياة الاقتصادية بما تؤديه من خدمات في مناطق ومواسم معينة يؤمها الناس لأغراض البيع والشراء [49].

4.4 الثروة المعدنية:

اما بالنسبة للثروة المعدنية فنظرا لتنوع التضاريس الجغرافية في المناطقة فكانت منتشرة ومتنوعة مع اختلاف طبيعة اراضي بخارى، وممّا لاشك فيه أنَّ وجود الثروة المعدنيّة به اراضي هذه البلاد من معادن ثمينة كالذهب والفضة والاحجار النادرة ومعادن اخرى إلى جانب الثروات الأُخرى سوف يسهم في ازدهار الصناعات المتنوعة، فتزدهر المهن والوظائف الاجتماعيّة الأُخرى، فضلاً عن توفر الاموال، وبالتالي النشاط التجاري، الذي يساعد على تصريف هذه المنتجات.

فاشتهرت بخارى بأوانى الصفرية وصفر المنابر[50]، كما اشتهرت **بيكند** بصناعة القدور العظيمة الحجم [51] ، أما **ربنجن** فكان يصنع بها الطاسات المشهورة من الصفر [52]، مما له اثر على حياة السكان وتوفير فرص عمل جيدة تسهم في تحقيق الرفاة لهم.

5.4 الاسواق والتجارة:

لقد كانت الاسواق في بداية الامر قد اتخذت هذه الاسواق مواقعها في داخل المدن إلا انها مع بداية القرن الثاني الهجري بدأت بالتحول والاتساع إلى الارباض المحيطة بالمدن[53].

فأصبحت تشكل العنصر الحيوي لنشاط السكان وتجمعهم فاخذ السوق مكانته واهميته الاقتصادية فيها وفق الحاجة وبما يقدمه الانتاج الزراعي والتي جعلت من تلك الاحياء نقطة تحول في ميدان العمل والسكن واضحت (اكثر الاسواق والتجارات في الربض الا شيئاً يسيراً في المدينة) [54], بينما وجدت هناك العديد من المدن انتشرت أسواقها داخل وخارج الربض في وقت واحد.

ومما ساعد في ازدهار تلك المراكز التجارية وقوعها بجوار اراضي زراعية خصبة تميزت بجودتها ووفرة انتاجها الزراعي وما توفره من مواد غذائية وصناعية مهمة في العملية التجارية وكذلك سهولة نقل هذه البضائع ورخصها لوجود العديد من الطرق البرية والنهرية لنقل تلك السلع التجارية ومن هذه المراكز التجارية المهمة .

فهناك العديد من الاسواق التي اختصت ببيع وشراء الحيوانات والمواشي المختلفة كمدينة جهار جوي في خانية بخارى حيث عرفت باسواق الخيول [55].

فقد كانت بخارى من المدن الكبيرة التي تجري فيها اعمال البيع والشراء في اسواقها الداخلية والخارجية من السور وفي اوقات معلومة حيث تحمل لها السلع والامتعة وتصدر إلى الافاق [56].

كما كانت اسكجمكث: وهي واحدة من قرى بخارى اختص اهلها بالتجارة وسوقها يقام يوما واحداً من كل اسبوع وكذلك الحال في افشة [57]. وشرغ : وهي احدى قرى بخارى التي ازدهرت فيها التجارة وعمل اهلها بهذا النشاط حيث كانوا يقيمون سوقاً لمدة عشرة ايام كل سنة تباع فيه مختلف البضائع والسلع ويجتمع فيها التجار من مختلف البلدان المجاورة [58] وزندنة التي تقام فيها السوق كل يوم جمعة تزامناً مع موعد اقامة الصلاة[59].

وكذلك كمجكث وهي من قرى الصغد تقام بها سوق موسمية كل عام في منتصف السنة [60].

ومن الاسواق المشهورة في بخارى ايضا هو سوق ماخ روز وهو من الاسواق القديمة التي سبقت الإسلام حيث كان يقام مرتين في العام ولمدة يوم واحد وقد اقيم مسجد إلى جانبه على موقع معبد للنار [61].

كما يوجد داخل اسوار بخارى وخارجها اسواق متصلة لكنها تفتح في اوقات معلومة من الشهر وهي نشطة ومزدهرة يجري فيها من البيع والشراء مختلف السلع والثياب والرقيق والمواشي وغير ذلك مما يتسع به اهلها [62].

فقد استمدت هذه الاسواق تسميتها ايضا من الاماكن القريبة منها كسوق دروازجة قرب باب دروازجة في بخارى [63] .

كما سيمت هذه الاسواق وفق البضاعة التي تشتهر ببيعها أو صناعتها داخل السوق [64] , فكان لأهل الحرف والصنائع محلات فيها ولكل صنعة أو سلعة أو تجارة سوق مفردة لها [65] . كسوق العلافين في بخارى . وسوق العطارين والاسكافية (سوق كفشكران) وسوق البقالين (جوبه بقالان) وسوق الفستقيين (بسسه شكنار) حيث يباع الفستق في بخارى، وسوق البزازين والصيارفة في بخارى [66] .

ومن المناطق التجارية المهمة الطواويس التي يأتيها التجار من فرغانة والشاش واماكن اخرى [67] وقد وصف اهلها بالغنى واليسر وقد امتازت بتصدير الدواب والماشية والبضائع الزراعية .حتى ذكر النرشخي ان اهلها من ذوي النعمة والثراء , وكان كل واحد منهم يقتني في بيته طاووساً او اكثر , وكان فيها سوق كبير يأتي اليها كل سنة عشرة الاف من التجار واصحاب الاعمال من البلاد المجاورة .

لقد كان التجار يفدون الى بخارى من مختلف الافاق لاستيراد المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية مثل البسط والمصليات والثياب وثياب الفرش وحزام الخيل والجلود المدبوغة والشحوم ومعدن البرونز [68].

ولابد للنشاط التجاري في الأسواق أنْ يصحبه اهتمام مشترك بين السلطة المركزيّة والإدارات المحليّة، وبين الأفراد الميسورّين للاعتناءِ بأسواقهم، وجعلها محلات خلابة، وجميلة، تستهوي الناس؛ من اجل البيع والشراء[69].

كانت معاملة اهل بخارى ايام السامانيين بالدراهم ولا يتعاملون بالدنانير فيما بينهم ,فكان الذهب كالسلع والعروض , وكان لهم دراهم يسمونها الغطريفية من حديد وصفر وآنك وغير ذلك من الجواهر , فلا تجوز الا في بخارى , كانت سكتها تصاوير , وهي من ضرب الاسلام وكانت لهم دراهم اخرى تسمى المسببية والمحمدية جميعها من ضرب الاسلام, كما كان ملك بخارى الى أمراءه تسمى خاتون , وكانت بمدينة بخارى [70].

ويمكن ان نفهم من كلام النرشخي الذي اشار في عدد من المواضع حول دور الاهالي والتجار في بناء بعض المرافق العمرانية الخاصة ومنها بخارى , فكانوا يتحملون مؤونة ونفقات طائلة في هذه الابنية[71] ولعل الاهتمام بالأسواق وبنائها يعد جزءاً مكملاً ومهماً عمل الاهالي هناك على تشييدها وادامتها واصلاحها لذلك ازدهرت بعض المناطق نتيجة العمل التجاري ونشاط الاسواق .

لعبت عوامل عديدة في ازدهار النشاط التجاري في بخارى، ولعلَّ تنوع خيراتها، بالإضافة عن وقوعها على أهم الطرق التجاريّة التي تربط وسط آسيا، والصين، ببلاد العالم الإسلامي وأوربا، دفعت إلى ازدهار تجارتها, . كما اشار المقدسي الى وجود بعض المصريين في بخارى وكان قد سألهم عن مقدار الخراج الذي يجبى من الفلاحين [72].

وممّا لاشك فيه أنَّ وجود هؤُلاءِ التجار سوف يحقق لهم ارباحا طائلة ، وبالتالي سيؤثر على حياة السكان فيها ،وتجعلهم يرتبطون مع بلدان أُخرى بصلات متنوعة، ,فقد اشتهر سكان **بخارى** بالتجارة منذ قديم الزمن ، فقد كان من المعروف وجود اتصال تجارى بين **بخارى والصين** ، فقد سار تجار بخارى بالقوافل التجارية وخاصة التي تحمل الحرير فى القرن الخامس والسادس الميلاديين عابرين بها أراضي الامبراطورية الساسانية وصولاً للأراضي الرومانية [73].

وقد أثرى تجار "بيكند" بالذات من وراء هذه التجارة وخبوا ثروات هائلة ، بسبب قيامهم بدور الوساطة التجارية بين الصين والامبراطورية الرومانية [74].

اشتهرت بخارى بكونها مركزا رئيسياً تلتقي فيها تجارات الصين واسيا الغربية ومركز صناعياً ايضاً لأفخر انواع السلع التجارية المرغوب فيها آنذاك [75] وكانت انهار بخارى تجري فيها السفن الكبيرة [76].

فكـانت قوافل الصين تتقابل مع قوافل إيران والعراق وبلاد اسيا الغربية في بخارى [77]. ووصلت تجارة بخارى إلى العراق والصين والهند .

يتضح مما تقدم كان لمدينة بخارى شأن كبير في كافة نواحي الحياة , لما تمتعت به هذه المدينة من مميزات كبيرة سواء كان بوفرة المياه التي اثرت بدورها على انتشار الاراضي الزراعية

الواسعة الخصبة والذي انعكس بدوره على وفرة المحاصيل الزراعية وازدهار الثروة الحيوانية بالإضافة الى وفرة الثروة المعدنية وبالتالي ازدهار التجارة فيها فكانت منطقة جذب للكثير من التجار لممارسة نشاطهم فيها التجاري.

5.الخاتمة

تبين من خلال استعراض نبذة من النشاط الاقتصادي لمدينة بخارى ان المنطقة كانت تشتهر بتنوع تضاريسها واعتدال مناخها مما ساعد ذلك على وفرة خيراتها من نشاط زراعي وحيواني ومعادن .

فكان لكثرة انهارها ووفرتها واعتدال مناخها اثر كبير في زيادة الاراضي الخصبة ووفرتها وتنوعها بالإضافة الى كثرة حيواناتها مما ساهم في انعاش الاقتصاد في تلك المنطقة من خلال زيادة حجم ايراداتها من المواد الزراعية والحيوانية بالإضافة الى غناها بالثروة المعدنية التي تدخل في صناعة العديد من المواد والسلع المستخدمة في الحياة المعاشية.

بالإضافة الى كثرة اسواقها التي ساهمت بشكل كبير في تصريف تلك المنتجات التي كانت مناطق جذب للعديد من الناس من مختلف انحاء العالم , فكان التجار يأتون اليها من مختلف انحاء العالم لتصريف منتوجاتهم من السلع المختلفة , في الاسواق الكبيرة في بخارى التي كانت تقام في اوقات مختلفة من السنة.

فزاد حجم التبادل فيما بيهم لدرجة كبيرة , فكانت تقام الاسواق الموسمية لأغراض البيع والشراء فقصدها مختلف التجار .

6.المصادر والهوامش

(1) . البلاذري ، ابي العباس أحمد بن يحيى (ت 279هـ/ 892م).فتوح البلدان ، عني بمراجعته والتعليق عليه، رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية، بيروت 1978م، ، ص 592.

(2) . قتيبة بن مسلم الباهلي: قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن اسيد الخير بن كعب بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن اعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نيزار بن معد بن عدنان ، ولد في البصرة سنة 49 هـ/ 669م ، انظر: ابن قتيبة أبو محمد

(ت 276هـ/889م)، عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله، ط2، مطبعة دار احياء التراث العربي ، لبنان ، 1970م، وطبعة اخرى تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1960.، ص 279-280.

(3) . الاصطخري، الشيخ ابو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت 346هـ/957م).مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسيني، راجعه محمد شفيق غربال، نشر دار القلم ، القاهرة 1961 ، ومطبعة كتابخانة، صور، بلا .ت. ، ص 107.

(4) .الثعالبي، أبو المنصور عبد الملك محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت429هـ/1037م).لطائف المعارف(تحقيق، ابراهيم الأنباري وحسن كامل، بيروت, دار إحياء الكتب العربية , 1960م), ص239.

(5). النرشخي ، ابي بكر محمد بن جعفر (ت 348هـ/ 1959م),تاريخ بخارى ، تعريب امين عبد المجيد ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف، مصر، بلا.ت,,ص129،130.

(6) . النرشخي : تاريخ بخارى, ص39.

(7) . ياقوت الحموي، شهاب الدين ، ابي عبد الله الرومي البغدادي (ت 626هـ),معجم البلدان، مطبعة دار صادر ، بيروت 1957. , ج1 ص353-354-355-356.

(8) . الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت 658هـ/ 1259م)، تاريخ جهانكشاي ، ترجمة محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، 1985، ج1، ص 112.

(9). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 409.

(10) . يذكر النرشخي ان اهل بخارى شكوا إلى الخليفة المهدي الذي زار مروسنة 166هـ/ 782م من غارات الترك على مدينتهم وكان والي خراسان ابو العباس بن الفضل بن سليمان الطوسي فكلف المهدي بن حماد بن عمرو الذهلي امير بخارى ان يسورها، فضرب السور ووضعت البوابات وان يقام في كل نصف ميل برج محكم وتحمل اهل بخارى مؤنه ونفقاته. انظر: النرشخي ، تاريخ بخارى، ص 55.

(11) . اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت 292هـ), البلدان، المطبعة الحيدرية ، النجف 1957.

، ص 123. الاصطخري، مسالك الممالك، ص 171..

(12) . الاصطخري، مسالك الممالك ، ص 305، 306.

(13) . مسالك الممالك , ص171.

(14).المقدسي : احسن التقاسيم ,ص281.

(15) . احسن التقاسيم ,ص34.

(16). الاصطخري : مسالك الممالك , ص287.

(17). المقدسي : احسن التقاسيم ,ص331.

(18).**الثعالبي، أبو المنصور عبد الملك محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت429هـ/1037م)**, يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر(تحقيق، مفيد محمد قميحة ,لبنان, دار الكتب العلمية , 2000م),ص,4-71 .

(19) . ابن حوقل، ابي القاسم النصيبي (ت 367هـ), صورة الارض ، ط2، مطبعة فؤاد بيان وشركاؤه، نشر مكتبة الحياة (بيروت، بلا، ت) ، ص 401.

(20) .الاصطخري، مسالك الممالك، ص473-174. المقدسي، احسن التقاسيم، ص 268.

(21) .الاصطخري ، مسالك الممالك، ص 171. ابن حوقل، صورة الارض، ص 399.

(22) .المقدسي، احسن التقاسيم ، ص 267.

(23) . بارتولد، فاسيلي فلاديمرو فيتش,تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت 1410هـ-1981م، ص 200.

(24) .الاصطخري ، مسالك الممالك، ص 171، 172، 173. ابن حوقل، صورة الارض، ص 400، 401، 412 .

(25) . الثعالبي، أبو المنصور عبد الملك محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت429هـ/1037م).لطائف المعارف(تحقيق، ابراهيم الأنباري وحسن كامل، بيروت, دار إحياء الكتب العربية , 1960م).. ص239.

(26) . تاريخ بخارى ,ص129،130.

(27). ياقوت ، معجم البلدان، ج1، ص 353..

(28). آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، حـ 2 ، ط. بيروت 1967م ، ص 357.

(29). الجهشياري, محمد بن عبدوس (ت331هـ/942م),الوزراء والكتاب ,(دار صادر, بيروت- د.ت) ، ص 222.

(30) .النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص 28.

*نسبة الى الأشمونيين بمصر ، الأصطخرى ، المسالك والممالك ، ص 53.

(31) . زكى محمد حسن ، فنون الاسلام, الفكر العربي, الاسكندرية,2018 ، ص 313 - 314.

**الجواليق ، ثياب كبيرة مصنوعة من الصوف او الشعر انظر رينهات دوزى ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة ,اكرم فاضل ,بغداد, بلا , ص 295.

(32) . زكى محمد حسن ، فنون الاسلام، ص 357.

(33).الادريسي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 560هـ),نزهة المشتاق في إختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2002م.، ج1، ص 490. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص527.

(34) .الكرباس: نسيج قطني ابيض، وقيل الثوب الخشن، وهو فارسي الاصل. انظر: ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت 711هـ/ 1311م),لسان العرب ، مطبعة لوستاتوماس وشركاؤه، مصر ، بلا.ت ، ودار احياء التراث العربي، 1984م، ج2، ص206.

(35) .تنسب الكثير من المنسوجات إلى اماكن صنعها حسب البلد أو الاقليم المنتج فيها واحياناً لطريقة نسجه لاي مادة صنعت . انظر: العلي: صالح أحمد، الانسجة في القرنين الأول والثاني الهجريين، مجلة الابحاث البيروتية، العدد 14 السنة 1961م،ص 550.

(36) .الاصطخري، مسالك الممالك، ص 314. ابن حوقل، صورة الارض، ص 403. الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص495 .

(37) .كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية ووضع فهارسه ,بشير فرنسيس وكوركيس عواد , مؤسسة الرسالة ,1934م, ص 527.

(38). النرشخي، تاريخ بخارى، ص 31، 37 .

(39) . الاصطخري، مسالك الممالك، ابن حوقل، صورة الارض ، ص 404.

(40).ابن فضلان ، أحمد بن فضلان ، بن العباس بن راشد بن حماد (ت 310هـ) ، رسالة ابن فضلان، علق عليها وقدم لها سامي الدهان ، المطبعة الهاشمية ، دمشق، 1968، ص 93.

(41). تاريخ بخارى ,ص39.

(42) . المقدسي: احسن التقاسيم ,ص 254.

(43) . تاريخ بخارى ,ص37.

(44) . ينظر؛ الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت255هـ/868م),التبصر بالتجارة (تصحيح ,السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي , ,ط3 , القاهرة ,الناشر مكتبة الخانجي ,1994م).,ص28 ؛ احسن التقاسيم, ص 245 , 255 ,256.

(45) . النرشخي : تاريخ بخارى ,ص 30 .

(46) . الاصطخري: مسالك الممالك, ص161؛ ابن حوقل: صورة الارض ,ص385.

(47) . الاصطخري: مسالك الممالك, ص161؛ ابن حوقل: صورة الارض ,ص385.

(48) . النرشخي : تاريخ بخارى ,ص 39.

(49) .ينظر؛ **السرمد، قيس عبد الواحد** ,الصنائع والمهن والحرف في المشرق الاسلامي ,العراق، بلاد فارس، بلاد ماوراءالنهر خلال العصر العباسي (أطروحة دكتوراه, جامعة بغداد, كلية التربية الاولى ــ ابن رشد ــ 1996م), ص21.

(50) . ابن حوقل : صورة الارض ، ص 325.

(51) .ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت290هـ/902م). -الأعلاق النفيسة(بريل, مطبعة مدينة ليدن ,1891م),ص80.

(52) . المقدسى ،احسن التقاسيم ، ص 324.

(53). الربض : الابنية والضواحي التي تحيط بالمدن والقلاع وهي الضاحية المحصورة بين سور القصبة الداخلي وسورها الخارجي . انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 12.

(54) .الحديثي، اسواق المدن الخراسانية، مجلة المؤرخ العربي، العدد 30، 1986، ص 111.

(55). فامبري ، تاريخ بخارى، ص 32.؛ كي لسترنج ، بلدان لخلافة الشرقية، ص 527.

(56) .الحديثي، اسواق المدن الخراسانية، ص 115.

(57) . النرشخي، تاريخ بخارى ، ص 28-29. بارتولد ، بخارى ، ص 28.

(58) . النرشخي، تاريخ بخارى ، ص 30, البيروني، أبو الريحان محمد بن عمر (ت440هـ/1048م),الآثار الباقية عن القرون الخالية(عني بنشره، ادوارد سخو ,بيروت, دار صادر,مصور عن طبعة لايبزك، 1923م) ، ص 235.

(59). البيروني، الاثار الباقية ، ص 234.

(60) . النرشخي، تاريخ بخارى ، ص 31.

(61) . النرشخي، تاريخ بخارى ، ص 38. فامبري، تاريخ بخارى، ص 52.

(62). الاصطخري : مسالك الممالك ,ص176 .

(63) . الاصطخري، مسالك الممالك، ص 309، 317 . لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 507.

(64) . الحديثي، اسواق المدن الخراسانية، ص5

(65) . اليعقوبي، البلدان، ص 14.

(66) . النرشخي، تاريخ بخارى، ص 80-81 ، 128 . بارتولد ، بخارى، دائرة المعارف الإسلامية، ج6 ، ص 351.

(67).النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص 28.

(68) . ريسلد، جاك س . الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر، بدون سنة، ص 118.

(69) . قحطان الحديثي: أسواق المدن الخُراسانية ,ص113.

(70). ياقوت الحموي : معجم البلدان,ج1 ص353-354-355-356.

(71) . ينظر؛ تاريخ بخارى, ص58 , 59 , 80 , 88 .

(72) . احسن التقاسيم ,ص 180.

(73) . فامبري، ارمينوس : تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر، ترجمة أحمد محمود الساداتي، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة ، 1982، ص 45 .

(74) . النرشخى ، تاريخ بخارى ، ص 30 .

(75) . فامبري، تاريخ بخارى، ص 25.

(76) .الاصطخري : مسالك الممالك ,ص169 , 174 .

(77) . كاشف ، سيد إسماعيل ، علاقة الصين بديار الإسلام ، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الأول ، ص 28-29.